# الإيمان والعقل

**Richard Swinburne**

# FAITH AND REASON

**SECOND EDITION**


Second Edition published by arrangement with Oxford University Press

ريتشارد سوينبيرن

# الإيمان والعقل

ترجمة:
أرين عبد المجيد الجلال

الروسم
Jadawel جداول

# مقدمة المترجمة

يلقي تواضع المحتوى العربي في مجال الفلسفة بصورة عامة والفلسفة الدينية على وجه الخصوص مهمة شاقة على كاهل المؤلفين والمترجمين العرب على حد سواء، وكلّي أمل في أن يكون تعريب هذا الكتاب مساهمة متواضعة مني في رفد المكتبة العربية بالمواد العلمية التي تعوزها في هذا المجال. ويسعدني أن أضع بين يدي القرّاء العرب ترجمتي لكتاب «الإيمان والعقل»، وهو الكتاب الأخير في ثلاثية «فلسفة التأليه» للكاتب والباحث الكبير وأستاذ الفلسفة في جامعة أوكسفورد ريتشارد سوينبيرن، والذي يعد علمًا من أعلام الفلسفة المسيحية المعاصرين. لا يخفى على القارئ ما يكتنف الترجمة الفلسفية من صعوبات ناجمة عن الطبيعة المعقدة للنص الفلسفي. ولذلك فقد آثرت أن أقوم ببحث مستفيض حول موضوع المادة التي أنوي ترجمتها حتى يخرج النص المعرّب بأفضل وأجلى صورة للقارئ الكريم.

ورغم أنني لاحظت وجود بعض المغالطات لدى الكاتب فيما يتعلق بالدين الإسلامي بالإضافة إلى تحامله عليه في بعض استنتاجاته إلا أن الأمانة العلمية تقتضي مني نقلها كما هي للقارئ الكريم.

آمل أن يكون تعريب هذا النص فاتحة طيبة لنقل المزيد من الأعمال الفلسفية الهامة إلى اللغة العربية.

**أرين عبد المجيد الجلال**

# مقدّمة

كتاب «الإيمان والعقل» هو الجزء الأخير من ثلاثية الفلسفة التأليهية التي تقول بوجود الرب. تناول الجزء الأول «الترابط المنطقي لمفهوم التأليه» معنى القول بوجود الرب. كذلك تحدث عن الترابط الداخلي لهذا القول. وقد أثبت هذا الجزء استحالة افتراض عدم منطقية هذا القول بصورة ظاهرة، وبيّن صوابية البحث عن البرهان الذي يثبت صحته. وقد تناول الجزء الثاني من هذه الثلاثية «وجود الرب» البرهان الذي يثبت صحة هذا القول، إذ تطرق إلى تقييم قوة الحجج المبنية على الظواهر التي تدعم وجود الرب أو تنفيه. فقد بين أنه على الرغم من عدم إمكان إثبات وجود الرب بصورة قاطعة، إلا أننا إذا نظرنا إلى مجمل الحجج المختلفة في هذا الشأن فسيتبين لنا رجحان احتمال فرضية وجود الرب مقارنة بنقيضه. وأخيرًا فإن هذا الكتاب « الإيمان والمنطق» يتناول ماهية العلاقة بين الإيمان الديني وبين الأحكام المتعلقة بالاحتمال (سواء أكانت هي الأحكام التي توصلت إليها شخصيًّا أم الأحكام الأخرى المختلفة، مثل الحكم بانعدام احتمال وجود الرب).

ولا بد لنا إن أردنا الإجابة عن هذا السؤال، من الإجابة عن تساؤل يسبقه، وهو التساؤل حول ماهية الهدف من ممارسة دين معيّن، أو ما أسميه باتباع طريقة دينية معينة. وقد أجبت عن ذلك في الفصل الخامس من هذا الكتاب بالقول بأن هناك ثلاث غايات مختلفة يمكن أن يسعى الشخص المتدين لتحقيقها، وتتمثل هذه الغايات في تقديم العبادة والطاعة التي ينبغي تقديمها للرب (أو الأرباب)، وتحقيق الخلاص لذاته، ومساعدة الآخرين لتحقيق خلاصهم. وبطبيعة الحال فإن الغاية الأولى من تلك الغايات تنحصر في تلك الأديان التي تقول بوجود الرب (أو الأرباب). كذلك إن الأديان تختلف باختلاف فهمها لفكرة الخلاص. وبالتالي فقد يكون اتّباع طريقة دينية معينة بدلًا من أخرى أكثر منطقية بناء على ماهية الغايات المختلفة التي يُسعى إلى تحقيقها. ولن يكون اتّباع طريقة دينية ما في سبيل تحقيق غاية معينة منطقيًّا إلا إن كان تحقيق تلك الطريقة لتلك الغاية محتملًا إلى حد ما، بالإضافة إلى أن اتّباع طريقة أخرى أو عدم اتّباع أي طريقة أقل احتمالًا في تحقيق تلك الغاية. وقد بينت في الفصل

السادس من هذا الكتاب الكيفية التي تمنحنا بها العقيدة الدينية تعليلًا لكون اتّباعنا لطريقتها محققًا لغايتنا، بالإضافة إلى تعليلها لكون اتباع طريقة أخرى أقل احتمالًا في تحقيق تلك الغاية. وبناء على ذلك فإن المرء يحتاج إلى اكتساب معتقد عقلاني يقتضي وجود احتمال معينة لصحة تعاليم ديانة معين من أجل أن يكون اتّباعه لذلك الدين وممارسته له في سبيل تحقيق غاياته منطقيًّا. كذلك يحتاج المرء أيضًا إلى اكتساب معتقد عقلاني يقتضي عدم وجود احتمال أرجح لصحة تعاليم ديانة أخرى ذات غايات مشابهة، وإلا فإن ممارسته لتلك الديانة الأخرى ستكون أكثر منطقية حينها. وقد تناولت في الفصل السابع الكيفية التي يمكن أن نقيّم بها الاحتمال النسبي للعقائد الدينية. وبناء على ذلك فإن النقاش في الفصول التي ذكرتها تضمن المفاهيم المتعلقة بالاعتقاد، والاعتقاد العقلاني، والأفعال. كذلك تضمن أيضًا المعايير التي يمكن أن نحكم بناء عليها بالصحة المحتملة لنظرية ما. وقد خصصت الجزء الأول من الكتاب (الفصل الأول والثاني والثالث) لتحليل هذه المفاهيم بصورة شاملة، بالإضافة إلى تعداد الجوانب التي ينبغي أن يكون الاعتقاد بصحة عقيدة ما منطقيًّا بحسبها بناء على الحجج المستمدة من البرهان في سبيل توجيه خياراتنا المتعلقة بممارسة أو عدم ممارسة الدين، وماهية الدين الذي ينبغي أن نمارسه. وإذا كان اتباعك لطريقة دينية يستلزم افتراضك لصحة تعاليم تلك الديانة ـ على الرغم من عدم ضرورة اقتناعك بذلك ـ، فإن سلوكك يعدّ مسالة مرتبطة بالإيمان بتعاليم تلك الديانة، وبالنسبة إلى الأديان التأليهية، فإن ذلك يعني الإيمان بوجود الرب. ويغلب على الجزء الثاني من الكتاب (الفصل الرابع إلى السابع) البحث حول نوعية الإيمان التي تتطلبها ممارسة ديانة ما، بالإضافة إلى نوعية الإيمان الذي يعدّ عقلانيًّا.

وعلى الرغم من حرصي على الحديث بصورة عامة عند تناولي لنوعية الإيمان التي تتطلبها ممارسة أي ديانة، إلا أنني سوف أتناول بصورة أساسية نوعية الإيمان التي تتطلبها ممارسة الديانة المسيحية، وقد تطرقت في الفصل الرابع إلى التحليلات المختلفة التي أوردها اللاهوتيون المسيحيون بشأن ذلك. وبناء على ما سبق فإن هذا الكتاب يتمحور بصورة أكبر حول المسيحية مقارنة بالأجزاء التي سبقته. كذلك يشكل صلة وصل مع رباعيتي التي صدرت أخيرًا وتتناول التعاليم المسيحية. ومن المؤكد أن القارئ لا يحتاج بالضرورة إلى قراءة الأجزاء السابقة من أجل فهم هذا الجزء واستيعابه، إذ إن هذا الجزء لا يفترض بصورة مسبقة الاستنتاجات التي توصلت إليها الأجزاء السابقة، ولكننا يمكن

أن نجمع الاستنتاجات الواردة في خاتمة كتاب «وجود الرب» ـ والتي تقتضي أن احتمال وجود الرب أرجح من احتمال عدم وجوده ـ مع الاستنتاجات الواردة في كتاب آخر لي هو «قيامة الرب المتجسد» ـ والتي تقتضي بأننا إذا سلمنا بالاحتمال العالي لوجود الرب حسب اللاهوت الطبيعي، فإن هناك احتمالًا عاليًا لكونه قد تجسد في السيد المسيح ـ بالإضافة إلى الاستنتاجات التي توصل إليها هذا الكتاب للوصول إلى نتيجة نهائية متعلقة بعقلانية الإيمان بالرب المسيحي. وكما هو الحال في الكتابين السابقين، فقد سعيت في هذا الكتاب بصورة أساسية إلى تبرير استنتاجاتي عبر تقديم الحجج الراسخة والدقيقة. وقد حتّم ذلك عليّ وضع فصول طويلة عن موضوعات فلسفية عامة، ومن ثم حصر تطبيق مخارج تلك الفصول في المسائل الدينية. ولا يسعني هنا إلا أن أطلب التحلي بالصبر ممن يهتمون بصورة رئيسية بالاطلاع على استنتاجاتي بشأن الإيمان الديني بدلًا من الاطلاع على حديثي المتعلق بطبيعة العقلانية، وذلك لأن الاستنتاجات المبرّرة بصورة جيدة لا يمكن التوصل إليها إلا عبر الفهم الشامل لماهية العناصر التي تشكل الاعتقاد العقلاني والتصرف العقلاني. وعلى الرغم من وعورة الطريق ومشقته إلا أننا سنبلغ غايتنا في آخر المطاف.